Criticism directed at the position of the speaker

D. Abdul Jabbar Saad Ahmed
University College Imam Al-Azam
E-mail: jabbaralslamy9@gmail.com

Abstract:

This research deals with some of the critical pauses in ancient Arabic criticism books, which are pauses in which criticism was directed from the outside, and that directing was the position of the speaker, as that position may work to distance the critic from the text, so he issues judgments that do not depend on the characteristics of the text, and thus the criticism is based on what is outside the text. Text.

Key words: Criticism - position - guidance – speaker.

النقد الموجه بمكانة القائل قراءة في نماذج من النقد القديم

د. عبدالجبار سعد أحمد
كلية الإمام الأعظم الجامعة / قسم أصول الدين – الضلوعية
E-mail: jabbaralslamy9@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا البحث بعض الوقفات النقدية في كتب النقد العربي القديم وهي وقفات كان النقد فيها موجها من الخارج وكان ذلك الموجه هو مكانة القائل إذ قد تعمل تلك المكانة على ابعاد الناقد عن النصّ ، فيقوم بإصدار أحكام لا تعتمد خصائص النصّ ،وبذلك يكون النقد بما هو خارج النصّ .

الكلمات المفتاحية : نقد – مكانة – توجيه – قائل.

المقدمة:

يأتي هذا البحث ضمن توجه عملت عليه في بحوث عدة وهو توجه يهدف إلى دراسة الموجهات الخارجية التي توجه العملية النقدية وأقصد بالموجه الخارجي هو ذلك الموجّه الذي لا يعتمد على خصائص النصّ بل يعمل يتحقق بفعل موجهات مضمرة تعمل على توجيه الحكم توجيها من الخارج فيكون الفعل النقدي متحققا بما هو خارج النصّ ، وقد خصصت هذا البحث لدراسة أثر مكانة القائل في توجيه النقد ، وامكانية هذه المكانة في توجيه النقد من الخارج وتكوين سياج يمنع المتلقي من الدخول إلى النص ، ومواجهة بناءه الجمالي ، وقد بدأت هذا البحث بمدخل وطئت فيه للبحث مشيراً إلى امكانية تأثر مكانة القائل في توجيه النقد ، وقد قسمت البحث إلى أربعة أقسام جاء القسم الأول لدراسة مكانة الشهرة وأثرها في تسويغ نسبة الابيات لغير قائلها ، أما القسم الثاني ، فقد أشرت فيه إلى فاعلية الشهرة في تسويق الشعر وادخاله في مجال تلقي أوسع ، وكان القسم الثالث حول التعميم الجمالي المعتمد على مكانة الشاعر ، ثم جاء القسم الآخر باحثاً في تلقيم المكانة وما تحدثه تلك الألفاظ من توجيه ضمني للحكم ، وفي نهاية البحث وضعت خاتمة أدرجت فيها أبرز النتائج التي توصل إليها البحث .

مدخل

لو عُرِض نصان من الشعر للمتنبي وأبي تمام مثلاً أمام متلقٍ يفضل أبا تمام والآخر يفضل المتنبي ، لكان الحكم – على الأغلب – تابعاً لذلك التفضيل ، من دون الاحتكام إلى خصائص النصيين الفنية ، وبذلك سيكون التفضيل أو المكانة هو الموجه لإصدار الحكم ، فوجود تفضيل أو ضده لشاعر معيّن يعمل على تكوين تصور عام يدفع بالحكم المطلق على جميع ما ينتجه الشاعر ، فالإعجاب أو النفي المطلق يعمل على تكوين حكم تعميمي مسبق ، وبذلك قد يحكم على بعض من منتج الشاعر حكما لا يعتمد خصائصه الداخلية إذ يعمل التفضيل المسبق على تعويق أو توجيه القراءة توجيها متحيّزاً ، فمن طبيعة الفهم البشري عندما يتبنى رأياً ((أن يقسر كلّ شيء عداه على أن يؤيده ويتفق معه ، ورغم أنه قد تكون هناك شواهد أكثر عدداً وثقلاً تقف على النقيض من هذا الرأي ، فإنه إما أن يهمل هذه السلبية ويستخف بها ، وأما أن يختلق تفرقة تسوّل له أن يزيحها وينبذها))[1] ، فمكانة الشاعر أو التفضيل والذم المطلق يعمل على توجيه الحكم إلى ساحته آخذا بالمواطن التي تدعم ذلك الحكم مهملاً سواها ، فتكون العملية النقدية غير محايدة وموجهة من الخارج ، فالنقد يكون خارجيّا عندما يحاول

الحكم على الأثر ((بالنظر في متلقيه أو في أسباب نشأته ، ويكون ذلك بتنزيله في إطار خارج عن النصّ))[٢] ، وتكون قراءة النصّ مؤجلة أو تكون نتيجتها تابعة للموجه الخارجي .

وقد أشار الجرجاني في مقدمة كتابه قائلا ((وما زلتُ أرى أهل الأدب – منذ ألحقتني الرغبةُ بجملتهم، ووصلَت العنايةُ بيني وبينهم – في أبي الطيب أحمد بنِ الحسين المتنبي فئتين: من مُطنب في تقريظه، منقطع إليه بجملته، منحطّ في هواه بلسانه وقلبه، يلتقي مناقِبَه إذا ذُكِرت بالتعظيم، ويُشيع محاسنه إذا حُكيت بالتفخيم، ويُعجَب ويعيد ويكرر، ويميل على من عابه بالزِّراية والتقصير، ويتناول من ينقصُه بالاستحقار والتجهيل؛ فإن عثَر على بيت مختلّ النظام، أو نبَه على لفظ ناقص عن التمام التزم من نُصرة خطئه، وتحسين زلَله ما يُزيله عن موقف المعتذر، ويتجاوز به مقام المنتصر. وعائبٍ يروم إزالتَه عن رُتبته، فلم يسلّم له فضله، ويحاول حطّه عن منزلةٍ بوّأه إياها أدبُه؛ فهو يجتهدُ في إخفاء فضائله، وإظهار مَعايبه، وتتبع سقطاتِه، وإذاعة غَفلاته))[٣] فأشار إلى المكانة التي تشكل تصوراً مسبقا في وعي المتلقي تعمل على توجيه الحكم النقدي توجيها لا يعمد على خصوصية النصّ .

إنّ التوجيه الخارجي بمكانة القائل يعمل بشكل مضمر خفي ، فأغلب النقاد يدّعي تجاوز ذلك التوجيه والاحتكام إلى النصّ ، ولكنّه قد يمارسه إجرائياً بلا وعي ، فيكون ذلك التوجيه المضمر معوّقا لتحقيق القراءة الموضوعية للنص .

أولا : مكانة الذيوع مسوغاً للأخذ

إن ذيوع صيت الشاعر ووصول شعره إلى أكبر عدد من المتلقين يعمل على تحقيق توجيه جمالي مغلف بتصورات مسبقة تفرضها شهرة الشاعر ، فتلقي نصّ لشاعر مشهور قد يفرض حكماً جمالياً لا يقوم على خصائص النص بل يعتمد على ذات القائل وما حققته من شيوع وتقبل ، ومعيار السيرورة والشهرة لايمكن أن يعد معياراً جماليا خالصاً ، فسيرورة شعر الشاعر ، قد لا تعتمد على خصائص نصه الجمالية ، لذلك ((قال الاخطل للفرزدق أنا والله وأنت أشعر من جرير غير أنه رزق من سيرورة الشعر مالم نرزقه))[٤] ، وبهذا يمكن القول أنّ شهرة الشاعر قد تكون موجها خارجيا يعوق قراءة النص وتلمس خصائصه .

إنّ شهرة الشاعر قد تعطيه الافضلية في اسناد كلّ شعر مجهول أو لشاعر ، أقل شهرة منه إليه ، فالشاعر صاحب الشهرة والذيوع سيكون مركز جذب لنسبة الشعر مجهول القائل أو شعر الشعراء المغمورين ؛ لذلك قيل ((إن كثيرا من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه))[٥] ، وقد تنبه النقاد إلى هذا النوع من النسبة وصنفوه ضمن باب السرقات باسم (الإغارة) وهي عندهم ((أن يسمع الشاعر المفلق والفحل المتقدم الأبيات الرائعة ندرت لشاعر في عصره وباينت مذاهبه

في أمثالها من شعره ويكون بمذهب ذلك الشاعر أليق وبكلامه أعلق ، فيغير عليها مصافحة ويستنزل الشاعر عنها قسرا))[٦] ، فشهرة الشاعر في فن معيّن تمنحه سلطة تجعل المتلقي يسوّغ نسبة النصوص إليه وتهمل قائلها الأصلي ؛ لذلك قال أبو نواس للحسين بن الضحاك بعد أن أنشده شعرا في الخمر ((أحسنت والله يا أشقر هذا معنى من المعاني التي كان في فكري لا بد أن ينتهي إليها ويغوص عليها وقد سبقتني إليه واختلسته منّي وستعلم لمن يروى ألي أم لك))[٧]، فشهرة أبو نواس ستعيد نسبة نصوص الخمر الجيدة إليه ، كذلك تنسب العامة كل شعر فيه مجون إلى أبي نواس.

ومثال آخر لسلطة الشهرة عند أبي نواس على تغيير نسبة النصوص تعليقه على قول أبي الشيص [٨]

وقفَ الهوى بي حيثُ أنتَ فليسَ لي متأخر عنه ولا متقدمُ
أجد الملامةَ في هواكَ لذيذةً حبًّا لذكركَ فليلمنِي اللومُ
أشبهت أعدائي فصرتُ أحبُّهم إذ كان حظي منكَ حظّي منهمُ
وأهنتني فأهنتُ نفسي عامدًا ما من يهونُ عليكَ ممن يكرمُ

قال أبو نواس أحسنت والله وملحت ، ولتعلمّن أني سآخذ منك هذا المعنى فيشتهر ما أقول ولا يشتهر ماقلت [٩] فوجود معنى غزلي جيد يشابه ما يكتبه أبو نواس سيكون مسّوغاً لإمكانية نسبة الشعر لأبي نواس كونه الأشهر .

ولشهرة أبي نواس في شعر الخمر والمجون أصبح مركزاً تنسب إليه النصوص حتى قيل أن شعر أبي نواس في الخمر مسروق ((ولكن رزق أبو نواس في شعره أن سار وحمله الناس وقدّمه أهل عصره))[١٠] .

فمكانة الشهرة والذيوع تمنح الشاعر قوة في التفضيل الجمالي لا تعتمد الموازنة المجرّدة بين النصوص .

ثانياً مكانة الذيوع أداة لتسويق الشعر

يعمل الذيوع بوصفه أداة ترويج وتسويق للشعر ؛ لذلك عمد بعض الشعراء إلى الشعراء المشهورين ليهاجوهم أو يحاوروهم محاولة منهم لخلق نوع من الاقتران مع الشاعر المشهور ليحقق بذلك الاقتران تسويقاً وترويجا لشعره ، نجد مثال ذلك في ما روي عن بشار بن برد الذي هجا جرير بأشعر كثيرة ولم يجبه ، فقال بشار ((لم أهجه لأغلبه، ولكن ليجيبني فأكون من طبقته، ولو هجاني لكنت أشعر الناس))[١١] ، فبشار يحاول أن يجعل شهرة جرير أداة ترويجية تمنح شعره ذيوعاً وقبولاً لدي

المتلقين ، فالاقتران بالشاعر المشهور يعمل موجهاً خارجياً يدعم قبول النص ويعطيه قيمة جمالية لا تعتمد على خصائص النص الداخلية .

ومن ذلك ما روي عن الحطيئة وكعب :((قال الحطيئة لكعب: قد علمتم روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم، فلو قلت شعرا تذكر فيه نفسك ثم تذكرني بعدك، فإنّ الناس أروى لأشعاركم، فقال : فمنْ للقوافى شأنها من يحوكُها ... إذا ما مضى كعبٌ وفوّز جرولُ))[١٢]

فالحطيئة هنا يسوق شعره عبر تحقيق اقتران اسمه بشاعر مشهور من نصّ لنفس ذلك الشاعر وبذلك يمهّد مساحة من التلقي تضمن له الذيوع والانتشار والمقبولية ، وبذلك يمكن القول أنّ الذيوع والشهرة تعمل على ترويج النصّ بطريقة لا تعمد على خصائص النصّ بل عبر موجه خارجي مؤطر بالتصورات المسبقة .

ثالثاً: المكانة معمِما جمالياً

قد تعمل مكانة الشاعر ومقبوليته عن بعض المتلقين إلى تشكيل تذوق جمالي موجّه خارجياً بتلك المكانة يعمل على الحكم جمالياً على جميع نصوص الشاعر ، وهذا النوع من الحكم هو حكم يعتمد على تصوّرات مسبقة قائمة على تفضيل مطلق للشاعر ، ذلك التفضيل الذي يعمل على تعويق قراءة النصوص ،فيكون الحكم الجمالي موجّهاً من الخارج ، والوقفات النقدية التي تشير إلى

ذلك كثيرة ، من ذلك ما رواه المرزباني في كتاب الموشح ((حدثنى أبو الحسن على بن هارون المنجّم، قال: حضر أحمد بن أبى طاهر مجلس جدّى أبى الحسن على بن يحيى يوما بعد أن أخلّ به أياما، فعاتبه أبو الحسن على انقطاعه عنه، فقال أحمد: كنت متشاغلا باختيار شعر امرئ القيس ، فأنكر عليه أبو الحسن قوله هذا، وقال: أما تستحيى من هذا القول؟ وأي مرذول في شعر امرئ القيس حتى تحتاج إلى اختياره))[١٣] ، فمكانة أمرئ القيس عند أبي الحسن كونت عنده تفضيلاً جمالياً مطلقاً ؛ لذلك رفض فكرة وجود تفاوت جمالي في شعر امريء القيس ، فهو يحكم بالجمال مطلقاً على أي نص من نصوصه ، من دون الرجوع إلى النص نفسه وتلمس خصائصه الداخلية ، فعموم التفضيل يعوّق تلك القراءة ويعطي حكماً مسبقاً .

وقد تنبه النقاد القدامى إلى هذا النوع من التلقي ، فيشير الصاحب بن عباد إلى ذلك بقوله : ((كنت ذاكرت بعض من يتوسم الأدب في الأشعار وقائليها والمجودين فيها فسألني عن المتنبي ، فقلت انه بعيد المرمى في شعره كثير الإصابة في نظمه الا أنه ربما يأتي بالفقرة الغراء المشفوعة بالكلمة العوراء ، فرأيته قد هاج وانزعج وحمي وتأجج وادعى أن شعره مستمرّ النظام

متناسب الاقسام))[١٤] ، فهذا الصنف من المتلقين يحمل مكانة عليا للمتنبي تجعله يتعصب لجميع شعره ، فيحكم على النص لكون قائله المتنبي ، فيكون الحكم نظراً للقائل لا لخصائص النصّ .

ويقابل هذا النوع من التلقي نوع معاكس يحكم بالعموم سلباً على جميع ما ينتجه الشاعر ؛ لعدم موافقة مذهب الشاعر لذلك المتلقي ،فيحكم مسبقاً على جميع نصوصه ويعوّق القراءة الجمالية أو أي محاولة لتلمس خصائص النص ، وقد أشار الآمدي إلى هذا النوع من التلقي لشعر أبي تمام إذ يقول :((وقابل المنحرفون عنه إفراطاً بإفراط فبخسوه حقه، واطرحوا إحسانه، ونعوا سيئاته، وقدموا عليه من هو دونه، وتجاوز ذلك بعضهم إلى القدح في الجيد من شعره، وطعن فيما لا يطعن عليه فيه، واحتج بما لا تقوم حجة به))[١٥] فهناك تعميم بالحكم لايتقبل قراءة النصّ نظراً لقائله، وبذلك يلغي الممكن الجمالي ويحجب التلقي .

رابعاً تلقيم المكانة

هناك ما يسمى بالألفاظ المشحونة أو الملقمة التي ((تدس مواقف انفعالية داخل العبارة التي تحملها وهذه المواقف ليست جزءا من الحجة وإنّما جرى استدعاؤها على نحو غير مشروع لكي تؤتي أثراً ماكان للحجة أن تؤتيه بمفردها)) [١٦]، وترد هذه الألفاظ في بعض الوقفات النقدية لتوجه الحكم عبر تضمين الخطاب ألفاظاً ملقمة تحط أو تعلي من مكانة الشاعر من دون التصريح المباشر ، فيكون توجيه الحكم توجيها مضمراً بدس ألفاظ تشير إلى مكانة الشاعر التي تتعلق بنسبه أو عرقه أو أي صفة أخرى تلقم الخطاب وتحقق فعلاً حجاجياً يشحن المتلقي بتصورات مسبقة تجعله يحكم على النصّ نظراً لمكانة قائلة لا رجوعاً إلى خصائصه الذاتية .

وقد وردت تلك اللغة المشحونة الملقمة في مواطن عدة من الخطاب النقدي من ذلك ماورد في جواب الاصمعي عن فحولة بعض الشعراء :

((قلت فأخبرني عن عبد بني الحسحاس ، قال هو فصيح وهو زنجيّ أسود ، قال وأبو دلامة عبد رأيته مولد حبشي ، قلت أفصيحاً كان ؟ قال هو صالح الفصاحة ، قال وأبو عطاء السندي عبدٌ أخرب مشقوق الأذن ، قلت وكان في الاعراب ، قال لا ولكنه فصيح))[١٧] ، فالأصمعي هنا يلقم جوابه بألفاظ تشير إلى مكانة الشاعر المتعلقة بالنسب والصفات الجسمانية بطريقة تو حي بالانتقاص والحط من المكانة في سياق الحكم على فحولة الشاعر مما يجعل تلك الالفاظ موجها مضمراً يكون لدى المتلقي تصورات مسبقة تجعله يحكم على النصّ وفقاً لمكانة قائله العرقية أو صفاته الجسمانية .

وفي قول جرير في شعر الاخطل ((النصراني أنعتنا للخمر والحمر وأمدحنا للملوك وأنا مدينة الشعر))[١٨] ، فأشار إلى الاخطل بلقب (النصراني) في معرض التحكيم الشعري وهي إشارة تعمل على تحويل المحاكمة ضمناً من المحاكمة المعتمدة على الشعر إلى المحاكمة المعتمدة على مكانة القائل ، فتحول الحكم ضمناً من الحكم على النص إلى الحكم على الشاعر ، وبذلك تؤجل قراءة النصّ وتكون حكماً معتمداً على التصور المسبق .

النتائج:

١- إن لغة النقد الأدبي القديم تتضمن الكثير من المفاتيح لدراسات جديدة تكشف عن بعض موجهات النقد .

٢- مكانة القائل تعد أهم الموجهات الخفية التي توجه النقد على الرّغم من ادعاء أكثر النقاد تجاوز هذا الموجّه

٣- يعمل التوجيه بمكانة القائل على تكوين سياج يمنع الدخول إلى النصّ ويحقق حكما من الخارج

٤- إن هذا البحث يفتح الباب لدراسة مكانة القائل في توجيه النقد القديم ، ولا يستوفيها كونها تتعلق بمعظم قضايا النقد ، فيمكن دراستها ضمن قضية القدم والحداثة أو السرقات ، أو الطبع والصنعة .

الهوامش:

١- الاوركانون الجديد ٣٢

٢- النقد الأدبي ، فاريس تومريل ٤٣

٣-الوساطة بين المتنبي وخصومه ٣

٤- حلية المحاضرة ١/ ٣٤٦

٥- الموشح ٤٥

٦- حلية المحاضرة ٢/ ٣٩

٧- طبقات الشعراء ٨٩

٨- ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره ١٠١- ١٠٢

٩- طبقات الشعراء لابن المعتز ٧٤

١٠- أخبار أبي نواس ٥٧

١١- العمدة ١/١١٠

١٢- الشعر والشعراء ١/١٥٥ و ينظر : ديوان كعب بن زهير ٧٣

١٣- الموشح ٥٠

١٤- الكشف عن مساويء المتنبي ٢٩ -٣٠

١٥- الموازنة ١/١٤٠

١٦- وهم الثوابت قراءة ودراسات في الفلسفة والفن . ٣

١٧- سؤالات أبي حاتم ٥٦

١٨- الشعر والشعراء ٢٢٢/١

المصادر:

١- أخبار بي نواس ،محمد بن منظور المصري ، سرحه وضبطه ،محمد عبد الرسول إبراهيم ، مطبعة الاعتماد – القاهرة -١٩٢٤م .

٢- حلية المحاضرة ، محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، أبو علي (ت ٣٨٨هـ) ، تحقيق : جعفر الكتاني،دار الرشيد – بغداد -١٩٧٩م .

٣- ديوان أبي الشيص وأخباره ، صنعة عبد الله الجبوري ، المكتب الاسلامي – بيروت -١٩٩٨٤م .

٤- ديوان كعب بن زهير ، تحقيق علي فاعور ، دار الكتب العلمية – بيروت -١٩٩٧م .

٥- سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه (فحولة الشعراء) تحقيق : محمد عودة سلامة،مراجعة:رمضان عبد التواب ،مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة -١٩٩٤م .

٦- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة (٢٦٧هـ) تحقيق :أحمد محمد شاكر ،دار المعارف – القاهرة -١٩٨٢م .

٧- طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فرّاج ، دار المعارف – القاهرة د.ت .

٨- طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي(٢٣١هـ) تحقيق :محمود محمد شاكر ،مطبعة المدني – القاهرة – ١٩٧٤م .

٩- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) تحقيق :محي الدين عبد الحميد ،دار السعادة – القاهرة -١٩٥٥م.

١٠- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (٣٧٠ هـ) ، تحقيق :السيد أحمد الصقر ،دار المعارف – القاهرة ط ٤ – ١٩٦٠.

١١- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ،أبو عبد الله المرزباني (٣٨٤ هـ) تحقيق : محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية – بيروت -١٩٩٥م.

١٢- النقد الأدبي ، فاريس تومريل ، ترجمة الهادي الجطلاوي ، التنوير – تونس -٢٠١٧م .

١٣- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة د.ت.

١٤-وهم الثوابت قراءة ودراسات في الفلسفة والفن ، مؤسسة هنداوي – القاهرة – ٢١٧م .